

الباب الثالث

الفصل الأول

تعريف القرآن

القرآن لغة مصدر من قرأ-يقرأ-قراءة-وقرآن بمعنى الجمع والضم، قرأ الشيء أي جمعه وضم بعضه إلى بعضه^١. وقد اختلف العلماء في لفظ القرآن، بعضهم يقول إنه مهموز وعلى هذا الرأي الزجاجي واللحياني، الآخر يقول إنه ليس مهموز. يقول الزجاج^٢ : إن لفظ القرآن مهموز على وزن فعلن، مشتق من القرء بمعنى الجمع. ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، ويقال القرآن بمعنى الجمع لأنه يجمع ثمرات الكتب السابقة. ويقول اللحياني^٣ : إنه مصدر مهموز على وزن غفران، مشتق من قرأ بمعنى تلا . وما يدل على أنه بمعنى تلا قول تعالى (وإذا قرئ القرآن

^{٦١٦} لويس معمولف، المدخل في اللغة: ٦١٦

٣١١ إبراهيم بن السري ويكتفي أبو الإسحاق المتوفى

٢١٠ أبو الحسن علي، ابن حازم، اللغوي المتوفى سنة

فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترجمون^٤ وقوله (فإذا قرأت القرآن فاستعد بالله من الشيطان الرجيم)^٥ قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري (عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي قال له : أقرأ القرآن في كل شهر ، قال إني أطيق أكثر مما زال حتى قال : في ثلاثة^٦)
ومن الذين يقولون إن القرآن ليس بهموز الشافعي والفراء حيث يقول الشافعي : هو اسم عالم غير مشتق من أي شيء ، يختص بكلام الله وهو ليس بهموز . يقول الفراء^٧ : هو مشتق من القرن . وعلى ما قاله الفراء ذهب الأشعري^٨
هو مشتق من قرن الشيء إذا ضم أحده إلى الآخر وسمى به إذ ضم فيه السور والآيات والأحرف^٩ .

٢٠٤ سورة الأعراف الآية :

٩٨ سورة النحل، الآية :

^١ السخاري، الجامع الصحيح، (دار الكتب : بيروت، بموجب السنة) ج ٦ ص ٣١٣.

٢٠٧ - أحد النحاة في الكوفة وأساميهم، بن، زياد الديلمسي، وبكته، ياء، زكريا المتنوفي سنة

^{٤٨} أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، إمام مذهب الأشعري في العقيدة المتعة، سنة ٣٣٤.

^٩ جلال الدين السمعاني الشافعي، الاتقان في علوم القرآن، دار الكتب الإسلامية: بيروت، مஹول السنة (ص ١٩٠).

وكان العرب في العصر الجاهلي عرّفوا لفظ "قرأ" لكنهم استخدموه على

غير معنى التلاوة بل بمعنى الحمل كما قال العرب "الناقة لم تقرأ أي لم تحمل".

اما معنى القرآن اصطلاحا فهو كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد هداية الناس أجمعين.^{١١} وقال محمد علي الصابوني إن القرآن هو كلام الله المعجز على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتبعد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة والمحتتم بسورة الناس.^{١٢}

أما تعريف القرآن الذي اتفق عليه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية أنه الكلام المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتبع بدلاوته.^{١٣}

^{١٠} صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، (بيروت : دار الكتب الإسلامية ، مجهول السنة) ، ج ١ ، ص ١٤٤

^{١١} محمد إسماعيل إبراهيم، القرآن وإنجازه العظيم، (بيروت : دار الفكر العربي، مجهول السنة) ص. ٢٠.

^{١٢} محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، (جناحتنا: دار الكتب، مجهول السنة) ص. ٨.

٢١ صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، ج. ١.

بيد أن العلماء اختلفوا في أصل لفظ القرآن واشتقاقه، فكان الخلاصة من تلك التعريفات المذكورة أنه كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه المتبع بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر المكتوب في المصحف هداية الناس أجمعين من أول سورة الفاتحة إلى سورة الناس. وللقرآن أسماء متعددة منها:

- الكتاب لقوله تعالى (لقد أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرٌ كُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ^{١٤}
 - الفرقان لقوله تعالى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) ^{١٥}
 - الذكر لقوله سبحانه وتعالى (إِنَّا هُنَّ نَزَّلْنَا الذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ^{١٦}
 - التنزيل لقوله تعالى (وَإِنَّهُ لِتَنزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ^{١٧}

١٤ سورة الأنبياء : ١٠

١٥ سورة الفرقان : ١٠

١٦ سورة الحجّر : ٩

قال الدكتور محمد عبد الله الرazi: روعي في تسميته قرآنًا كونه متنوعاً^{١٨}
بالألسنة، كما رعى في تسميته كتاباً لكونه مدوناً بالأقلام، فكلا التسميتين من
تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه.^{١٩} وأما أوصاف القرآن كما وصفه الله تبارك وتعالى
بعدة الأوصاف الجليلة منها النور استدلالاً على قوله (يا أيها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينا)^{٢٠} والمهدى لقول سبحانه وتعالى (ولوجعلنـه قرآنـاً أـعجمـياً لـقـالـوا لـوـلا فـصـلتـ آـيـتـهـ ، ءـأـعـجمـيـ وـعـربـيـ ، قـلـ هـوـ لـلـذـينـ
آـمـنـوا هـدـىـ وـشـفـاءـ ، وـالـذـينـ لـاـ يـؤـمـنـونـ فـيـ الـآـذـانـهـ وـقـرـ وـهـوـ عـلـيـهـمـ عـمـىـ ، أـوـلـئـكـ
يـنـادـونـ مـنـ مـكـانـ بـعـيدـ)^{٢١} الشفاء لقرره تعالى (وـنـزـلـ مـنـ الـقـرـآنـ مـاـ هـوـ شـفـاءـ
وـرـحـمةـ لـلـمـؤـمـنـينـ ، وـلـاـ يـزـيدـ الـظـالـمـينـ إـلـاـ خـسـارـاـ)^{٢٢} .

١٧ سورة الشعارة :

^{١٨} مناع القطنان، مباحث في علوم القرآن، (الرياض : منشورات العصر الحديث، مجهول السنة) ص ٢٢٠.

١٧٤ سورة النساء الآية :

٤٤- سورة الفصلة الآية :

٨٢ سورة الإسراء الآية :

الفصل الثاني

تاریخ نزوله

تطلق "نزل" في اللغة ويراد بها الحلول في مكان والأوي به كقولهم نزل الأمير المدينة، ومنه قوله تعالى (رب أنزلي منزلا وبارك وأنت خير المزليين) كما يراد بها أيضا انحدار الشيء من علو إلى أسفل نحو نزل فلان من جبل ^{٢٢}. أنزل الله القرآن من اللوح المحفوظ إلى الاسماء الدنيا ومن الاسماء الدنيا إلى الأرض بوسيلة الأمين جبريل عليه السلام لقوله عز وجل (نزل به الروح الأمين على قلبك تكون من المنذرين بلسان عربي مبين) وعلى هذا اتفق العلماء ولكنهم اختلفوا في كيفية نزوله من اللوح المحفوظ وكان الاختلاف على ثلاثة أقوال :

أحددها أنه نزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر جملة واحدة، ثم بعد ذلك نزل منحاماً في عشرين سنة أو في ثلاثة وعشرين أو خمس وعشرين على حسب الاختلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة. وعلى هذا القول

^{٦٢} عدنان محمد نزيلور، علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، (دمشق : المكتب الإسلامي، ١٩٨١) ص: ٦٩

قال النبي في حديث رواه الحاكم في مستدركه من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : أُنْزِلَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ نُزِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِعِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ قَرأَ لَا يَأْتُونَكَ بِمِثْلِ إِلَّا جَهَنَّمَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تفسيراً ^{٢٣} وَقَرَآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ غَلَى النَّاسُ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَا تَنْزِيلًا ^{٢٤}.

وثانيها أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة وقيل
في ثلث وعشرين ليلة قدر من ثلات وعشرين سنة، وقيل في خمس وعشرين ليلة
قدر من خمس وعشرين سنة، في كل ليلة ما يقدر الله سبحانه وإنزاله بكل سنة، ثم
ينزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وثلاثها أنه ابتدئ إِنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات، والشعبي هو الذي اعتمد على هذا القول^{٢٥} وأما القول الأول هو أصح القول وإليه ذهب الأكثرون. والقرآن الكريم نزل في شهر رمضان

٤٣ سورة الفرقان الآية:

٤٤ سورة الاسراء الآية :

^{٤٠} جلال الدين السيوطي الشافعى، الإنقان في علوم القرآن، ص: ١١٨.

على الإطلاق لقوله عز من قائل (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من المدى والفرقان...)^{٢٦} وقال أيضاً (إنا أنزلناه في ليلة القدر)^{٢٧} وليلة القدر هي في شهر رمضان إذ دلت الأحاديث الصحيحة على كون ليلة القدر في شهر رمضان وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتماسها في العشر الأخير منه.^{٢٨}

أخرج الحافظ أبو بكر البهقي^{٢٩} في كتاب (الأسماء والصفات) من حديث السدي^{٣٠} عن محمد بن أبي المحالد^{٣١} عن مقصم^{٣٢} عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سأله عطية بن الأسود^{٣٣} فقال : إنه قد وقع في قلبي الشك في قوله الله عز وجل : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) و قوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) و قوله سبحانه وتعالى (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) وقد أنزل في شوال و ذي القعدة و ذي الحجة ... يعني وغير ذلك من الأشهر ، فقال ابن عباس رضي الله

٢٦ سورة البقرة الآية :

٢٧ سورة القمر الآية: ١

^٤ روى حديث : التمسوها في العشر الأولى (يطرب وأسانيد متعددة ، أخرجه البخاري في الإيمان باب ٣٦ وليلة القدر باب ٤)

^{٤٩} هو أحمد بن حسين بن علم، بن عبدالله البهائم، الشافعى، الفقيه، ولد سنة ٣٨٤ هـ وتوفي سنة ٤٥٨ هـ

^{٢٠} اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب السدي من مفسر التابعين، توفي بالكوفة سنة ١٢٧ هـ.

^{١١} محمد بن أبي الحالد الكوفي، مولى عبد الله في أبي أوي

٢٢ مقتبسه بن يحيى أبو القاسم توفي سنة ١٠١ هـ

٢٣ عطية بن الأسود العمامي . من أسماء المخواص . توفي سنة ٧٥ هـ

عنهمَا : إِنَّهُ أَنْزَلَ فِي رَمَضَانَ وَفِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَفِي لَيْلَةِ مِبَارَكَةٍ جَمْلَةً وَاحِدَةً ثُمَّ أَنْزَلَ بَعْدَهُ
ذَلِكَ عَلَى مَوْاْقِعِ النَّجُومِ رَسْلًا فِي الشَّهُورِ وَالْأَيَّامِ.^{٣٤}

القرآن لم ينزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جملة واحدة وإنما نزل منجما كما قال الله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لثبتت به فؤادك، ورتلنه ترتيلًا ولا يأتونك بمثل إلا جئنك بالحق وأحسن تفسيرا)^{٣٥} وفي الآتين الكريمتين إشارة إلى كون نزول القرآن مفرقاً أي منجماً، لأن اليهود حين رأوا نزول القرآن مفرقاً سألوا : هل أنزل عليه القرآن جملة واحدة كما كان التوراة والإنجيل والزبور؟ فقال تعالى " كذلك " أي أنزلته مفرقاً أو منجماً " لثبتت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا، ولا يأتونك إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا"^{٣٦} وهنا الحكم الكثيرة العظيمة في كون نزول القرآن منجماً ومنها:

^{٣٤} شهاب الدين عبد الرحمن، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، (بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣) ص: ٣٣

٣٠ سورة الفرقان الآية : ٣٢ - ٣٣

^{٣٦} أحمد بن محمد طاحون، مع القرآن الكريم، (المملكة العربية السعودية: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،

١٨: ص ١٩٩٨

أحداها : تشبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم أمام أذى المشركين لقوله تعالى (وقال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبتت به فؤادك وتلناه ترتيلًا) .^{٣٧}

ولذلك نزل منجما لتكون بين الإنزالات الفرصة للتلطف للنبي.
كان شيئا عظيم الشأن كما قال الله جل وعلی (إنا سنلقی علیک قولا ثقیلا)^{٣٨}
وثانیها : التلطف والتمتع للنبي صلی الله علیه وسلّم عند نزوله والقرآن

ثالثها : تسهيل حفظه على الرسول والمؤمنين، فقد اختار الله تعالى تنزيله على هذا الوجه ليسهل على الناس حفظه، وإذا كان الله قد تكفل لرسوله بحفظه (سنقرئك فلا تنسى) فإن أفراد المسلمين كانوا بحاجة إلى أن يعطوا فرصة تمكّنهم من حفظه في الصدور وهو الحفظ.

٣٧ سورة الفرقان الآية :

٣٨ سورة آل عمران الآية : ١٢

رابعها : التزية من خلال الواقع، وربط الأمور بأسبابها ومسبباتها، وهذا أدعى إلى بيان مدى " الواقعية " في هذا الدين، وأن أحکامه أحکام عملية لا نظرية. وأدعى من وجه آخر إلى الفهم والتذكرة والمسارعة في التنفيذ: قال تعبارك تعالى (يسألونك ماذا ينفقون قل العف !!) (ويسائلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أُوتيت من علم إلا قليلا) وهذه كلها تشير إلى تسريع الفهم في الآية حسب الواقع التي حدثت .^{٣٩}

خامسها : التدرج في التشريع، وذلك في الأمور المتمكنة من الإفراد وفي المجتمع بحيث يصعب اجتناثها أو قلعها مرة واحدة أي إن تخلى المجتمع عن مفاسده وشروطه تم بواسطة هذا التدرج، وبعمق لم يشهد التاريخ أو الواقع مثيلاً.^٤

أما أول ما نزل من القرآن على الإطلاق خمس آيات من سورة العلق والأحاديث التي تؤيد هذا القول كثيرة ومنها حديث رواه البخاري ومسلم عن

^{٣٩} عدنان محمد زينور، حلوم القرآن مدحّل إلى تفسير القرآن، ص: ٧٧

٧٨: المترجم، ص: نفسي

عائشة رضي الله عنها وصححه الحاكم في مستدركه عن عائشة أنها قالت : أول

سورة نزلت من القرآن (إقرأ بسم ربك الذي خلق).^{٤١}

وأما آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق فقد وردت أقوال كثيرة وأصحها

أن آخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى في سورة البقرة (واتقوا يوماً ترجعون فيه

إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)^٤ والدليل على ذلك ما

آخرجه النسائي من طريق عكرمة أنه قال : آخر القراء، نزولاً (واتقوا يوماً ترجعون

فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ...)^{٤٣}

^{٤١} أبو الوفاء أحمد عبد الآخر، المختار من علوم القرآن، (مصر : المكتب المصري، مجهول السنة) ج . ١، ص : ٤٤

٤٢ الآية : البقرة

^{٤٥} أبو الوفاء أحمد عبد الآخر، المختار من علوم القرآن، ص: ٤٥

الفصل الثالث

لغة القرآن

قد أنزل الله تعالى القرآن على النبي بلسان عربي مبين، ليكون هدى ومنهجا في الحياة ودستورها، قال الله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمنتقين)^{٤٤}. ومن الدليل على أن كونه كتابا عربيا قول الله عز وجل (إنا جعلناه قرآننا عربيا لعلكم تعقلون)^{٤٥} قوله (ولو جعلته قرآننا أعجميما لقالوا لولا فصلت آيته، آعجمي وعربي)^{٤٦}.

إن القرآن عربي في نظمته ولفظه وأسلوبه وتركيبه وأنه ليس فيه ما يخالف طريقة العرب في المفردات والجمل والأسلوب والخطاب.^{٤٧} والعلماء اتفقوا عليه ولكنهم اختلفوا هل فيه مفردة غير العربية. قال جمهور العلماء وعلى رأسهم

٤٤ سورة البقرة الآية:

٤٥ سورة الزخرف الآية :

٤٤ سورة الفصلت الآية :

٤٧ محمد علمي، الصاويون، التبيان في علوم القرآن، د.ص: ٢٠٧

القاضي أبو بكر بن طيب وشيخ المفسرين ابن حجر الطبرى والباقلانى وغيرهم من

العلماء حيث قالوا : إن القرآن عربي كله وليس فيه ألفاظ أو مفردات من غير كلام

٤٨

وقال طائف من العلماء : إن في القرآن ألفاظ غير العربية، وإن تلك الألفاظ مع قلتها لا تخرج القرآن عن كونه عربياً مبيناً، ومثال ما ورد في القرآن الذي اتفق العلماؤ على كونه غير العربية هو (السجحيل، القسطاس وغير ذكر).^{٤٩} وقال ابن عطية إن في القرآن لفظ أصلي غير العربية ولكن العرب يستخدمونه.

والمحترم ما سبق ذكره ما ذهب إليه الطبرى والجمهور هم الذين يقولون إن القرآن كله عربي. وهو ما تشهد له النصوص الكثيرة والحجج الدامغة التي احتج بها العلماء.

٤٨ نفس المترجم، ص:

٤٩ نفس المترجم، ص: ٢٠٨

وقد أكد العلامة القرطبي القول الأول ورد الثاني حيث قال الأول الأصح.
ومن الضروري أن يكون النبي ينطق بلسان قومه، وعلى الحد ينطق النبي صلى الله عليه وسلم يلسان العرب على اللهجة القرشية ولذلك كانت اللهجة القرآن هي اللهجة القرشية.